الايمان هذه تسمية الدين ، اليس الاحرى بنا ان نسميها ايديولوجيـة ... او بصراحة اكثـر سياسية] ان التغاضي عن العمليـة الجدليـة والرابطة العضوية بين البناء الفوقي الاخـلاقي والديني ، كما حددناه من جهة ، والبناء التحتي دفع بالمؤلف الى بلورة نظرة ميكانيكية احاديـة الجانب ، وغير مرجحة من قبل دارسين مثلـه ، وسنناقش هذه النظرة الميكانيكية تفصيليا لاحقا ، وفي الحقيقة اننا لا نريد العودة الى المسائـل الدينية ولكن علينـا ان نلمس ونشخص اثـر « التدين »(٧) في المسالة اليهودية ونمط السلوك اليهودي واثره ايضا في اثارة النزعة اللاسامية .

٢ ــ الفصل الثاني : المنشا الامبريالي للمشروع الصهيوني : مهمة صعبة ، وغاية في التعقيـد ، تلخيص هذا الفصل ، بالرغم من قصره ، هذا اذا اردنا الدقـة في العرض ، ومتانة التسلسـل والاسلوب ، اذ ان المؤلف يزحمه بالوثائق والمذكرات والاستشهادات ، ولكنها مهمة ينبغي القيام بها ، لا محالة لو حزمنا امرنا على استخراج المحـور الرئيسي في نظرية يعمل المؤلف على بنائها ، حول المسالة اليهودية ، وهدفه اعادة ترتيب هـذه المسالة في رؤية متماسكة ، مع انه وضع اسس هذه النظرية في الفصل السابق ، بمنحى تقريري ميكانيكي ، الا انه يواصل تدعيم اتجاهه هـذا بلغة الارقام والوثائق .

يعرض المؤلف ، هنا ، لواقع المسالة اليهودية وعملية تفاقمها ، خلال اوضاع اليهود ، في عهد نضوج البرجوازية الرأسمالية ، ودخولها الـى مرحلة الرأسمال الاحتكاري المتوسع باضطراد نحو فتح اسواق ، وانشاء مستعمرات جديدة ،لتصريف البضائع واستيراد المواد الخام ، وحماية الممرات الاستراتيجية [ولايضاح ما يعنيه ، لا بد مـن الاشارة الى ان الفكرة التقليدية ، عن العـودة الى الارض المقدسة او الموعودة لم تكن تعني عند اليهود ، في مطلع العصور الحديثة ، اكثر مـن تطلع عاطفي ديني عام ، ورغبة عند بعض المتدينين اليهود في الاقامة في فلسطين للتعبد] (ص ٤٩) وهذه الحال لا تمثل اكثر من [تطلع الجماهـير المسيحية او المسلمة اتجاه بيت لحم او مكة] ، (ص ٥٠) ويورد الدكتور العظم فقرة من كتاب الصهيونية وحقوق الانسان العربي(٨) للدكتـور اسعد رزوق حيث يقول [ان اهتمام اناس غـير يهود بالمسالة اليهودية ، او من اصطلح علـى تسميتهم بصهيونية الاغيار ، هو ظاهرة تاريخيـة ودينية تصدر عن بواعث سياسية وامبريالية ، الى جانب الباعث الديني الموروث] ، (ص ٥٢) ويعود الدكتور العظم على هذا الفهم الذي يبديه الدكتور رزوق ، لنفي الجانب الديني كلية منه ، لانه يبصر في [الواقع ان صهيونية الاغيار لم تكن في يوم من الايام ، حليفا مستقلا للقـوى الامبريالية ، بل كانت جزءا لا يتجزأ منها ، وأداة هامة من ادواتها] ص ٥٣ ، وعلى هذا الاساس الوحيد، لم يكن اهتمام كروميل ، او نداء نابوليون بونابرت الى اليهود الذي [دعا فيه جميع يهود آسيا وافريقيا للانضواء تحت راياته من أجل اقامة القدس القديمة] ص ٥٧ غير اطماع [كـان موضوعها الرئيسي من سيميين على القسم الاكبر والاهم من التجارة العالمية يومها] ص ٥٤ ، أما في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد اشتد التنافس بين الدول الامبريالية [على توسيع نفوذها في اراضي الامبراطورية العثمانية وحماية مصالحها فيها] ص ٥٩ وهذا ما دفع اللـورد شانتسبوري [لان يعمل ويخطط مع بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها حينذاك ، على دفع المشروع الصهيوني لاستعمار فلسطين ، الى الامام] ص ٦٠ ومن الشخصيات المهمة والمؤثرة التي شاركت في هذه المداولات [الكولونيل تشارلز هنري تشرشل الذي شغل منصب القنصل البريطاني في دمشق] ، ص ٦٤ كما صدر ، في ذلك الحين ، كتاب لدكتور يدعى توماس كلارك يحمل عنوانا [ينتهي الوضوح بالنسبة لموضوعنا، هو الهند وفلسطين : أو احياء اليهود من وجهة نظر علاقة ذلك بطريق الشرق الادنى الى الهند]، ص ٦٧ ، وبهذا فان الامثلة التي قدمناها تكفي [لتبيان المنشأ الامبريالي والاستعماري للمشروع، قبل ان تعبره البرجوازية اليهودية اي اهتمام جدي] ، ص ٦٩ ، لهذا الغرض أسست جمعيات غير يهودية ، هدفها ترحيل اليهود الى فلسطين ، مثل جمعية استعمار فلسطين التي رعتهـا الامبراطورة اوجيني زوجة نابوليون الثالث ، وفي بريطانيا لم تفقد [الطبقة الحاكمة اهتمامها الجدي بالمشروع الصهيوني منذ ان نضجت الاسس المادية] ص ٧١ ، وشارك دزرائيلي بكتاب قدمه كاقتراح